الفصل الثانى عشر

الجنـــاس وصـــوره

الجِنْسُ لُغَةً : الضَّـرْبُ مِـنَ الشـيء ، وهـو أَعَـمُّ مِـنَ النَّـوْعِ . والمُجَانَسَـة : المماثلة .

وسُمِّيَ هذا الوجـه البديعـى جِنَاسًـا لمـا فيـه مـن المُمَاثَلَـةِ اللفظيـة ، ولأن حـروف ألفاظـه يكون تركيبها مِنْ جِنْسٍ واحد .

وحقيقتة : أنْ يكون اللفظُ واحِدًا والمعنـى مُخْتَلِفًا ، وعلـى هذا فإنـه هواللفظ المشترك ، وهوما يُعْرَفُ بالجِنَـاسِ التَّـام ، والكـامِل ، والحَقِيقِـيّ . وهـو أن تَتَّفِقَ الكلمتان فى لَفْظِهِمَا ووَزْنِهِمَا ، وحركاتِهِمَا ولا تختلفان إلا من جِهَةِ المعنى.

وماعداه سموه تجنيسا ناقصا ، وغير تام وأنكر ابنُ الأثيرِ عليه أن يُسَمَّى تجنيسا، قال : " وعَدَاهُ ـ التام ـ فليس من التجنيس الحقيقى فى شىء ، إلا أنه قد خـرج من ذلك مـا يسمى تجنيسا ، وتلك تَسْمِيَةٌ بالمشابهة لأنهـا ليست دالـة على حقيقـة المُسَمَّى بِعَيْنِهِ ."(٨٨)

واختلفوا فى عدد صور الجناس غير التـام ، كمـا اختلفـوا فـى أسمائها فهـى ست صور عند ابن الأثير ، وهى عشر صور عند يحيى العلوى ، وهـى عشر صـور عند ابن حجة الحموى .

عرضنا عليك جهد القدماء فى هذا الدرس والذى ننبه إليه هو دلالـة هذا الفن البديعى على علم مُسْتَعْمِلِهِ بالعربيـة وذوقهـا وجَـرْس كلماتهـا مـن حيث الظهـور والخفاء أوما عرف باسم الموسيقى الظاهرة والموسيقى الخفية .

وإدارة الأديب فن الجناس فى النص الأدبى لا ينبغى أن يقتصـر على استعراض المهارات اللغوية عنده ، فلا خير فى الجناس اذا لم يتصل بغيره من فنون البديـع كالمطابقة والمقابلة والتوريـة والاشـارة المبنيـة علـى التذكر واستكشـاف علاقـات جديدة لم يَسْبِق إدْرَاكُها بين الأشياء وتوليد المعانى .

ونضيف أن فن الجناس لا ينبغى أن يقتصر دَرْسُهُ على الأدب التقليدى فكثير ممـا تضحك به فى المسـرح الكوميدى مـن فـن الجنـاس ، وكثير ممـا نطـرب لـه مـن

التعبيرات فى الأغانى منه . كما يجب التماس فن الجناس فى الأمثال العربية وأمثال المولدين والأمثال الشعبية .

أولا : الجناس التام :

الجناس التام هوما تماثل ركناه واتفقا لفظا واختلفا معنى من غير تفاوت فى تصحيح تركيبها واختلاف حركتهما سواء كانا من اسمين أو من فعلين أو من اسم وفعل . فإنهم قالوا: اذا انتظم ركناه من نوع واحد كاسمين أوفعلين سُمِّىَ مُمَاثِلاً . وإن انتظما من نوعين كاسم وفعل سمى مُسْتَوْفَىً . وجُلُّ القَصْدِ تَمَاثُلُ الركنين فى اللفظ والخط والحركة واختلافُهما فى المعنى . وشاهده من القرآن الكريم قوله تعالى : " ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة " آل عمران١٣ وقولة تعالى : " يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ."النور ٤٣ – ٤٤ .

الساعة الأولى عبارة عن القيامة ، والساعة الثانية هى واحدة الساعات. والأبصار الأولى جمع بَصَر : الجارحة الناظرة . ولأولى الأبصار : لذوى العقول السليمة والأفكار المستقيمة .

ويُرْوَى فى الأخبار النبوية أن الصحابة نازَعُوا جرير بن عبد الله البَجَلِىَّ زِمَامَهُ فقال صلى الله وعليه وسلم : " خَلُّوا بَيْنَ جَرِير والجرير " أى دَعُوا زِمَامَهُ. ومنه قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ (صَوْلَةُ البَاطِلِ ساعةٌ، وصَوْلَةُ الحَقِّ إلى قِيَامِ السَّاعَةْ).

ومن الشعر قوله محمد بن كناسه :

تَيَمَّمْتُ فيه الفَأْلَ حِينَ رُزِقْتُه ... ولم أَدْرِ أنَّ الفَالَ فيه يَفِيلُ

وَسَمَّيْتُه يَحْيَى لِيَحْيَا فلم يكن ... إلى رَدِّ أَمْرِ اللهِ فيه سَبِيلُ

ومِنْ مُلَحِ هذا الفن قول ابن الرومى :-

للسُّودِ فى السُّودِ آثَارٌ تَرَكْنَ بِنَا ... وَقْعًا مِنَ البِيضِ يُثْنِى أَعْيُنَ البِيضِ

ومنه قول أبى العلاء المعرى:

لم نَلْقَ غَيْرَكَ إنْسَانًا يُلاذُ بِهِ فلا بَرِحْتَ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إنسانا

ومنه قولُ صَفِيِّ الدِّين الحِلِّي :

أَسْبَلْنَ مِنْ فَوْقِ النُّهُودِ ذَوَائِبَا فَتَرَكْنَ حَبَّاتِ القُلُوبِ ذَوَائِبَا

ومن ذلك قَوْلُهم : (يَقِينِي باللهِ يَقِينِي) وقولهم : (ما مَلأَ الرَّاحَةَ مَنْ اسْتَوْطَنَ الرَّاحَةْ)

ومنه قول أبي تمام :

فَأَصْبَحَتْ غُرَرُالأَيَّامِ مُشْرِقَةً بالنَّصْرِ تَضْحَكُ عَنْ أَيَّامِكَ الغُرَرِ

فالغرر الأولى استعارة من غُرَّةِ الوجه . والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشيء أى أكرمه . وعلى هذا النهج قول البحترى :

إذَا العَيْنُ رَاحَتْ وهىعَيْنٌ علىالجَوَى فَلَيْسَ بِسِرٍّ ما تُسِرُّ الأَضَالِعُ

فالعين : الجاسوس . والعين : الجارحة المعروفة

ومنه قول المعرى :

لوزَارَنَا طَيْفُ ذَاتِ الخَالِ أَحْيَانَا ونَحْنُ فى حُفَرِ الأَجْدَاثِ أَحْيَانَا

تَقُولُ : أَنتَ امْرُؤٌ جَافٍ مُغَالِطَةً فَقُلْتُ : لا هَوَمَتْ أَجْفَانُ أَجْفَانَا

* ثانيا : الجناس غير التام :-

الأول جناس التحريف :-

ذكره ابن الأثير بالصِّفَةِ ولم يُسَمِّهِ ، قال : أن تكون الحروف متساوية فى تركيبها مختلفة فى وَزْنِها (٩٠) . وقال يحيى بن حمزة العلوى : يلقب بالمختلف، وما هذا حاله يكون اخْتِلَافُه بالحركات لاغير ، فأما الأحرف فيه فمتماثلة (٩١). وهوعندهما القسم الأول من الجناس غير التام .

وسماه ابن حجه الحموى جناس التحريف وهوما اتفق ركناه فى عدد الحروف وترتيبها واختلفا فى الحركات سواء كانا من اسمين أوفعلين أواسم وفعل و"القصد

أختلاف الحركات . وانفرد ابن حجه عنهما بشاهد من القرآن ، قال : والمقدم فيه وهوالغاية التى لاتُدْرَك قوله تعالى :"ولقد أرسلنا فيهم مُنْذِرين فانظر كيف كان عاقبة المُنْذَرين " ولا يقال إن اللفظين متحدان فى المعنى لأنهما من الإنذار فلا يكون بينهما التجنيس فاختلاف المعنى ظاهر إذ المراد بالأول الفاعِلُون وهم الرُّسُل وبالثانى المَفْعُولون وهم الذين وقع عليهم الإنْذَار(٩٢).وهوعندنا من جناس الاشتقاق .

واتفقوا أن الشاهد عليه قوله صلى الله عليه وسلم :" اللهم كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِى، فَحَسِّنْ خُلُقِى " .

وقولهم : (الجَاهِلُ إمَّا مُفْرِط،أومُفَرِّط.) وقولهم:(البِدْعَةُ شَرَكُ الشِّرْك)

وقول بعضهم (لا تُنَالُ غُرَرُ المَعَالِى إلا بِرُكُوبِ الغُرَرِ،واهْتِبَال الغِرَرِ.)

غُرَرُ المعالى.أعلاها من غُرَّةِ الفرس:بَيَاضٌ فى الجبهة.وركوب الغُرَر: ركوب المهالك واهتبال الغِرَر : انتهاز الغفلة أوالفرصة .

ومنه قول الحريرى:(فلما اسْتَأْذَنَهُ فى المَرَاح إلى المَرَاح على كاهِلِ المِرَاح) (٩٣)

ومنه قول ابن الفارض :

هَلاَّ نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ ... لَمْ يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءِ

ومنه قول الشاعر :

لِعَيْنِى كُلَّ يَوْمٍ فيه عَبْرَهْ ... تُصَيِّرُنِى لِأَهْلِ العِشْقِ عِبْرَهْ

الثانى جناس التصحيف :-

ويسميه بعض البلاغيين جناس الخط وهوما تماثل ركناه خطا واختلفا لفظا، شاهده قوله تعالى :" وُجُوهٌ يومئذ ناضِرَة،إلى ربها ناظِرَة." وقوله سبحانه : " والذى هويُطْعِمُنِى ويَسْقِينِ،وإذا مَرِضْتُ فهويَشْفِينِ "

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :لعلى بن أبى طالب كرم الله وجه : " قَصِّرْ ثَوْبَكَ فهوأَنْقَى وأَتْقَى وأَبْقَى ." ومنه قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (لوكنتُ تاجِرًا ما اخْتَرْتُ غَيْرَ العِطْر إنْ فَاتَنِى رِبْحُهُ لم تفتنى رِيحُه) وقال بعض أهل الأدب (خُلْفُ الوَعْدِ خُلُقُ الوَغْدِ) ومنه قول أبى فِرَاس :

مِنْ بَحْرِ جُودِكَ أَغْتَرِفْ وبِفَضْلِ عِلْمِكَ أَعْتَرِفْ

الثالث : الجناس المُطْلَق :-

اختلط على كثير من البلاغيين التفريق بين الجناس المُطْلَق وجناس الاشتقاق ومعنى المشتق راجع إلى أصل واحد. والمراد من الجناس اختلاف المعنى فى ركنيه .

والمطلق كلُّ رُكْنٍ منه يُبَايِنُ الآخَرَ فى المعنى، من شواهده قوله تعالى : (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ) لأنه لم يرجع فى المعنى إلى أصل واحد ، ومنه قوله تعالى:(وإنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فلا رَادَّ لِفَضْلِه) ومنه قوله تعالى :"لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِى سَوْأَةَ أَخِيه " .

ومنه قول الشاعر :

بِجَانِبِ الكَرْخِ مِنْ بَغْدَادَ عَنَّ لَنَا ظَبْيٌ يُنَفِّرُهُ عَنْ وَصْلِنَا نَفَرُ
ضَفِيرَتَاهُ على قَتْلِى تَضَافَرَتَا يامَنْ رأى شَاعِرًا أَوْدَى بِهِ الشَّعَرُ

ومنه ما كُتِبَ به للخليفةِ المَأْمُون فى حَقِّ عامِلٍ لَهُ أنَّه : " ماتَرَكَ فِضَّةً إلا اقْتَضَّهَا، ولا ذَهَبًا إلا أَذْهَبَهُ، ولا مَالًا إلا مَالَ عليه، ولا فَرَسًا إلا افْتَرَسَه ،ولا دَارًا إلا أَدَارَهَا مِلْكًا، ولا غَلَّةً إلا غَلَّهَا، ولا ضَيْعَةً إلا ضَيَّعَهَا، ولا عَقَارًا إلا عَقَرَه، ولا حَالًا إلا أَحَالَه، ولا جَلِيلًا إلا أَجْلَاه، ولا دَقِيقًا إلا دَقَّه. "

الرابع : الجناس المُرَكَّب :ـ

وهوأن يكون أَحَدُ رُكْنَيْه كَلِمَةً مُفْرَدَةً، والرُّكْنُ الثانى مُرَكَّبًا من كلمتين. وفَرَّعُوهُ فُرُوعًا كَثِيرَةً لا نرى لها ضرورة وشواهده :

قول الشاعر :

عَضَّنَا الدَّهْرُ بِنَابِهْ ... لَيْتَ مَاحَلَّ بِنَا بِهْ

وقول الاخر

نَاظِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاظِرَاه ... أَوْدَعَانِى أَمُتْ بِمَا أَوْدَعَانِى

وقول الآخر

يا مَنْ إذَا مَا أَتَاهُ ... أَهْلُ المَوَدَّةِ أَوْلَمْ

أَنَا مُحِبُّكَ حَقًّا ... إنْ كُنْتُ فى القَوْمِ أَوْلَمْ

وقول الآخر

لا تَعْرِضَنَّ على الرُّوَاةِ قَصِيدَةً ... ما لم تَكُنْ بَالَغْتَ فى تَهْذِيبِهَا

وإذا عَرَضْتَ الشِّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ ... عَدُّوهُ مِنْكَ وَسَاوِسًا تَهْذِى بِهَا

وقول الشاعر

ولَمْ أَرَ مِثْلَ نَشْرِ الرَّوْضِ لَمَّا ... تَلاقَينَا بِبِنْتِ العَامِرِىِّ

جَرَى دَمْعِى وأَوْمَضَ بَرْقُ فِيهَا ... فقالَ الروضُ فى ذا العام رِىّ

وقول الشاعر

والمَكْرُ مَهْمَا اسطَعْتَ لا تَأتِهِ ... لتَقْتَنِى السُّودَدَ والمَكْرُمَهْ

الخامس : الجناس المُلَفَّق :ـ

حَدُّهُ أن يكونَ كلٌّ مِنَ الرُّكْنَيْنِ مُرَكَّباً مِنْ كَلِمَتَيْنِ ، وهذا هوالفرق بينه وبين المُرَكَّب ، ولم يُفْرِدْهُ بعضُ البلاغيين عن المركب . ومنه قَوْلُ قَاضِى المَعَرَّةِ يفخرُ بنزاهته .

فَلَمْ تُضِعْ الأَعَادِى قَدْرَ شَأنِى ولا قَالُوا فُلَانٌ قد رَشَانِى

ومنه قول الشيخ شرف الدين بن عُنَيْن :

خَبِّرُوها بأنَّهُ ما تَصَدَّى لِسُلُوِّعَنْهَا وَلَوْمَاتَ صَدَّا

السادس والسابع: الجناس اللاحق والجناس المضارع :

هما فرعان من الجناس المُحَرَّف أى أنْ تَكُونَ الألفاظُ مُتَسَاوِيَةً فى الوزن مُخْتَلِفَةً فى التركيب بحرف ولحد لاغير .

والجِنَاسُ المضارع أن يكون الحرفُ المُبْدَلُ مِنْ مَخْرَجِ المُبْدَلِ منه أوقريبا من مَخْرَجِهِ .

شواهد المُتَشَابِه فى المَخْرَج قوله تعالى :(وهم يَنْهَوْنَ عنه وَيَنْأَوْنَ عنه)

وقوله تعالى :(ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون)

وقوله تعالى :(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)

وعلى هذا النحو ورد قوله صلى الله عليه وسلم :(الخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الخَيْرُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ.)

ومنه قول بعضهم :(لاتُنَالُ المَكَارِمُ إلا بالمكارِه) .

ومنه قول بعضهم : (الدَّرَايَا أَهْدَافُ البَلَايَا)

ومنه قول الشريف الرَّضِيّ :

لاتَذْكُرِ الرَّمْلَ إلا حِنَّ مُعْتَرِفٌ لَهُ إلى الرَّمْلِ أَوْطَارٌ وَأَوْطَانُ

واللام والراء والنون من مَخْرَجٍ وَاحِدٍ عند قُطْرُب ، والجَرْمِيّ ، وابْن دُرَيْد ، والفَرَّاء ومنه قول أديب يصف إنسانا : (رأس سِهَامَهُ بالعُقُوق ، ولَوى مالَه عن الحُقُوق)(٩٤) فالعين والحاء من مخرج واحد .

ومنه قول جمال الدين بن نباته :

رَقَّ النَّسِيمُ كَرِقَّتِي مِنْ بَعْدِكُمْ فَكَأَنَّنَا فى حُبِّكم نَتَغَايَرْ
وَوَعَدْتُ بِالسُّلْوَانِ واشِ عَابِكُم فكأَنَّنَا فى كِذْبِنَا نَتَخَايَرْ

فالغين والخاء من مخرج واحد .

أما الجناس اللاحق فهوما أُبْدِلَ مِنْ أَحَدِ رُكْنَيْهِ حَرْفٌ مِنْ غَيْرِ مَخْرَجِهِ .

شاهده من القرآن قوله تعالى :(فأما اليَتِيمَ فلا تَقْهَرْ وأما السائل فلا تنهر).

ومنه قول بعض الأدباء لصاحبه مجيبا على رسالة بعث بها إليه :(وَصَلَ كِتَابُكَ فَتَنَاوَلْتُهُ بالْيَمِين ، ووَضَعْتُهُ مكان العُقْدِ الثَّمِين .)

ومنه قول البحترى وقد أجاد إلى الغاية :

عَجِبَ النَّاسُ لاعْتِزَالى وفى الأَطْـــرافِ تُلْفَى مَنَازِلُ الأَشْرَافِ
وقُعُودِى عَنِ التَّقَلُّبِ والأَرْ ضُ لِمِثْلِى رَحِيبَةُ الأَكْنَافِ
لَيْسَ عَنْ ثَرْوَةٍ بَلَغْتُ مَدَاهَا غيرَ أَنِّى امْرُؤٌ كَفَانِى كَفَانِى

فكفانى وكفانى هواللاحق الذى لا يُلْحَق .

قال ابن حجة : قيل لبعض الأدباء فى أى موضوع فى القرآن الأطراف منازل الأشراف ؟ فقال: فى قوله تعالى : (وجاء مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قال يا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِين) فهذا أَشْرَفُهم .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينزل من أقصى المدينة . والأطراف والأشراف مما نحن فيه .

الثـامن : الجِنَاسُ المُطَرَّفُ

هوما زَادَ أَحَدُ رُكْنَيْهِ على الآخَرِ حَرْفًا أوحَرْفَيْن فى طَرْفِهِ الأوَّل وفى تسميته اختلافٌ بين البلاغيين .

من شواهده فى القرآن قوله تعالى : (والْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ إلَى رَبِّكَ يومئذٍ المَسَاقُ .)الزيادة فى أول ركن الثانى .

وقد تكون الزيادة فى أول ركن الأول كقول أبى الفتح البُسْتى :

أَبَا العَبَّاسِ لا تَحْسَبْ بأَنِّى ... بِشَىْءٍ مِنْ حُلَى الأَشْعَارِ عَارِى(٩٥)

فَلِى طَبْعٌ كَسَلْسَالٍ مَعِينٍ ... زَلالٍ مِنْ ذُرَى الأَحْجَارِ جَارِى(٩٦)

إِذَا أَكْبَتِ الأَدْوَارُ زَنْدًا ... فَلِى زَنْدٌ عَلَى الأَدْوَارِ وَارِى(٩٧)

***التاسع : الجِنَاسُ المُذَيَّلُ :**

هوما زَادَ أَحَدُ رُكْنَيْهِ على الآخَرِ حرفا فى آخره فصار له كالذيل .

ومنه قول كعب بن زهير :

وَلَقَدْ عَلِمْتِ وأَنْتِ خَيْرُ عَلِيمَةٍ ... أَنْ لا يَقْرَبْنِى الهَوَى لهَوَانِ

قال ابن حجة : وما أَلْطَفَ مَنْ قال :

وسَأَلْتُهَا بإِشَارَةٍ عَنْ حَالِهَا ... وعَلَىَّ فيها للوُشَاةِ عُيُونُ

فَتَنَفَّسَتْ صُعُدًا وقَالَتْ ما الهَوَى ... إلا الهَوَانُ فَزَالَ عَنْهُ النُّونُ

ومنه قول أبى تمام :

يَمُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ ... تَصُولُ بأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ

ومنه قول البهاء زهير :

أَشْكُووأَشْكُرُ فِعْلَهُ ... فاعْجَبْ لِشَاكٍ مِنْهُ شَاكِرْ

طَرْفِى وَطَرْفُ النَّجْمِ فِيـ ... ـكَ كِلاَهُمَا سَاهٍ وسَاهِرْ

ولم يخرج عما نحن فيه قوله منها .

يالَيْلَ بَدْرُكَ حَاضِرٌ يالَيْلُ بَدْرِى كانَ حَاضِرْ
حتى يَبَانَ لِنَاظِرِى مَنْ مِنْهُمَا زَاهٍ وزَاهِرْ

وقد تأتى الزيادة فى آخر المُذَيل بحرفين كقول حسان بن ثابت :

وكُنَّا مَتَى يَغْزُوالنَّبِىُّ قَبِيلَةً نَصِلْ جَانِبَيْه بالقَنَا والقَنَابِلْ(٩٨)

ومثله قول ابن خفاجة الأندلسى فى وصف جبل :

فَمَا كانَ إلاَّ أنْ طَوَتْهُمْ يَدُالرَّدَى وَطارَتْ بِهِمْ رِيحُ النَّوَى والنَّوَائِبْ

ومن شواهد الجناس المذيل النثرية قول بعض الكتاب : (فُلانٌ حَامٍ حَامِلٍ لِأَعْبَاءِ الأُمُوْرْ ، كَافٍ كَافِلٍ لِمَصَالِحِ الجُمْهُوْرْ .) و (فُلانٌ سَالٍ عَنْ إخْوَانِهْ، سَالِمٍ مِنْ زَمَانِهْ.)

العاشر : المعكوس

العَكْسُ فى اللغة: رَدُّ آخِرِ الشَّىْءِ على أوَّلِهِ . وفى الاصطلاح: تقديمُ لفْظٍ مِنَ الكَلامِ ثُمَّ تَأْخِيرُهُ . ويَقَعُ على وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ . والمُقَدَّمُ فى هذا الباب قولُه تعالى :

(تُولِجُ اللَّيْلَ فى النهارِ وتُولِجُ النَّهَارَ فى اللَّيْلِ وتُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ وتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَى) آل عمران ٢٧

ومنه قيل لحكيم : لِمَ تمنعُ مَنْ يسألك ؟

فقال : لِئَلاَّ أَسْأَلَ مَنْ يَمْنَعُنِى

وقيل للحسن بن سهل : لا خَيْرَ فى السَّرَفِ .

فقال : لا سَرَفَ فى الخَيْرِ .

ويروى لأمير المؤمنين الرشيد من النظم فى هذا الباب :

لِسَانِى تَمُوْمُ الْمُسْتَرَادِ بِمَنْعِهِ وَلَمْعِى بِسِرِّى نَمُّهُ مُذِيعُ
لَئِنْ لاَ دُمُوعِى كَتَّمَتْ لَهَوَى الهَوَى وَلَوْلاَ الهَوَى لَمْ يَكُنْ لِى دُمُوعُ

ويروى للصاحب بن عباد وقد بالغ فى وصف الزجاج والشراب :

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَاقَتِ الخَمْرُ فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الأَمْرُ

فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ ولا خَمْرٌ

قال ابن الأثير : وذلك ضربان : أحدهما عكس الألفاظ والآخر عكس الحروف:(٩٩)

فالأول كقول بعضهم : (عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ العَادَاتِ)

وكقول الآخر : (شِيَمُ الأَحْرَارِ أَحْرَارُ الشِّيَمِ..)

ومن هذا النوع مما وَرَدَ شِعْرًا قول الأَضْبَط بن قُرَيْع من شُعَرَاءِ الجاهلية :

قَدْ يَجْمَعُ المَالَ غَيْرُ آكِلِهِ وَيَأْكُلُ المَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ

وَيَقْطَعُ الثَّوْبَ غَيْرُ لابِسِهِ وَيَلْبَسُ الثَّوْبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهْ

وكذلك قول أبى الطيب المتنبى :

فلا مَجْدَ فى الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ولا مَالَ فى الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وكذلك قول الشريف الرضى من أبيات يذم فيها الزمان :

أَسَفٌ بِمَنْ يَطِيرُ إِلَى المَعَالِى وَطَارَ بِمَنْ يُسِفُّ إِلَى الدَّنَايَا

وكذلك قول الآخر :

إِنَّ اللَّيَالِى لِلأَنَامِ مَنَاهِلٌ تُطْوَى وَتُنْشَرُ بَيْنَهَا الأَعْمَارُ

فَقِصَارُهُنَّ مِنَ الهُمُومِ طَوِيلَةٌ وَطِوَالُهُنَّ مِنَ السُّرُورِ قِصَارُ

قال ابن الأثير :

وهذا الضرب من التجنيس له حلاوة وعليه رَوْنَق ، وقد سماه قدامة بن جعفر الكاتب التبديل ، وذلك اسم مناسب لِمُسَمَّاه ؛ لأن مؤلف الكلام يأتى بما كان مُقَدَّمًا فى جُزْءِ كَلَامِهِ الأَوَّلِ مُؤَخَّرًا فى الثانى ، وربما كان مُؤَخَّرًا فى الأَوَّلِ مُقَدَّمًا فى الثانى ، وَمَثَّلَهُ قُدَامَةُ بِقَوْلِ بَعْضِهِم :

(اشْكُرْ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ وَأَنْعِمْ عَلَى مَنْ شَكَرَكَ .)

ومن هذا القسم قوله تعالى :(وَتُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَىِّ)

وكذلك ورد قول النبى صلى الله عليه وسلم :(جَارُ الدارِ أَحَقُّ بِدَارِ الجَارِ).

ورُوِىَ عن أبى تمام أنه قَصَدَ عبدَ اللهِ بنَ طَاهِرِ بن الحُسَين بخُرَاسَان وامتدحه بقصيدته المشهورة التى مطلعها :

أَهُنَّ عَوَادِى يُوسُفٍ وصَوَاحِبُه

فأنكر عليه أبوسعيد الضرير وأبوالعَمَيْثَلِ هذا الابتداء،وقالا : لِمَ لا تَقُولُ ما يُفْهَم ؟ فقال : وأنتُمَا لِمَ لا تَفْهَمَانِ ما يُقَال ؟

فاستحسنا منه هذا الجواب على الفور ، وهومن التجنيس المعكوس .

أما الضرب الثانى من هذا القسم . وهوعكس الحروف فقد أورد ابن حجة شاهدا له قوله صلى الله عليه وسلم: (يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ يَوْمَ القِيَامَةِ :اقرأ وارقَأ) (١٠٠)

وقول الشاعر :

كَيْفَ السُّرُورُ بِإِقْبَالٍ وآخِرُهُ إذا تَأَمَّلْتَهُ مَقْلُوبُ إِقْبَال

مقلوب الإقبال هوقولك (لا بَقَاء)

قال ابن الأثير: "وهذا الضرب نادر الاستعمال ، لأنه قَلَّ ما يَقَعُ كلمة تقلب حروفها فيجيء معناها صوابا"

الحادى عشر: ما حروفه تتقدم وتتأخر بين ركنيه

قال ابن الأثير : هو ما يساوى وزنه تركيبه غير أن حروفه تتقدم وتتأخر ، وذلك كقول أبى تمام :

بِيضُ الصَّفَائِحِ لا سُودُ الصَّحَائِفِ فى مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

فالصفائح والصحائف مما تقدمت حروفه وتأخرت .

وقد ورد فى الكلام المنثور كقوله صلى الله عليه وسلم فى فضيلة تلاوة القرآن : (اقرأوارقَ وَرَتِّل كما كنت تُرَتِّلُ فى الدنيا فإن مَنْزِلَتَكَ عِنْد آخِرِ آيةٍ تقرأ.) فقوله صلى الله عليه وسلم اقرأ وارق من التجنيس المشار إليه فى هذا القسم .